

التحالف - الصهيونيون - لتدمير سوريا والبلاد العربية



حمص 2012



كلنا سمعنا وشاهدنا قبل أسبوع المشادة الكلامية التي جرت بين مندوبي النظام السوري (قاتل شعبه) والمندوب الفرنسي في الأمم المتحدة.

وهي التي انتهت بكشف الأخير للوثيقة المحفوظة لدى أرشيف وزارة خارجيتها منذ عام 1936 والمتضمنة طلباً مقدماً للدولة الفرنسية ومؤقاً من الأسد الجد وبعض الشخصيات العلوية الأخرى بمنح طائفتهم دولة مستقلة على الساحل، وفي حال تعذر ذلك، عدم الموافقة على منح الاستقلال لسوريا.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماذا كان الرد الفرنسي على هذا الطلب؟ وأين هي الوثيقة التي تحتوي عليه؟ وما الفلت نظري واستغربته حقاً أن أحداً لم يطرح هذا السؤال بعد، فكل طلب لابد وأن عليه رد، فأين الرد وماذا كانت ماهيته؟ ولكن وبما أننا لا نعرف الجواب، فقد رأيت أن أخصص المقالة لمحاولة استنتاجه من المجريات التي تلتة. حتى نفعل ذلك لابد وأن نعود قليلاً إلى الوراء ونربط بين بعض الأحداث التي سبقت تلك الوثيقة وكذلك التي تبعتها. فالحدث الأهم في تاريخ الشرق الأوسط الحديث لا شك أنه كان (وعد بلفور) البريطاني عام 1917 للحركة الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وكما ذكرت في تقديمي لقصيدي (القدس جرح التاريخ) التي ألقيتها في هيوستن عام 2009 أن وعد بلفور المذكور لم يمنع لليهود حباً بهم، بل للتخلص من أعبائهم الاقتصادية والاجتماعية على المجتمعات الأوروبية عامة والبريطاني خاصة من جهة وجعلهم خجراً في خاصرة العرب من جهة ثانية.

وهو الوعد الذي أتي تتوبيجاً لجهود الحركة الصهيونية وجهود مؤسسها تيودور هرتزل التي بدأت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ودعونا لأننسى هنا أن فلسطين حين صدر (وعد بلفور) كانت ماتزال تحت الحكم العثماني وتشكل الجزء الجنوبي الغربي من سوريا الكبرى أو بلاد الشام. وبالتالي وحتى يتم تحقيق هذا الوعد كان لابد من إخراج العثمانيين منها

أولاً (وهذا ماجرى بمساعدة بريطانيا بواسطة الثورة العربية الكبرى).

ثم كان لابد من تقسيمها ثانياً (وهذا ما تم عبر اتفاقية سايكس-بيكو البريطانية- الفرنسية التي وضعت في نفس الفترة ولكن تم تنفيذها عام 1920)

إذاً أتت (سايكس-بيكو) كأداة لتسهيل وتنفيذ (وعد بلفور)، وبعد أن تم تقسيم سوريا الكبرى إلى أربعة أقسام، تم وضع فلسطين والأردن بعهدة بريطانيا وسوريا ولبنان بعهدة فرنسا.

وبطبيعة الحال وكما كانت فرنسا شريكة لبريطانيا في هذه الاتفاقية، فلاشك أنها كانت أيضاً شريكها في تحقيق (وعد بلفور)، وفي فترة الانتداب هذه بالذات أطلت علينا (وثيقة الأسد الأب وشركاه).

ولابد هنا من الاشارة إلى أن لأحد يختلف على تعرض الطائفة العلوية في سوريا خلال فترة الحكم العثماني الطويلة للظلم الاجتماعي المتمثل بالاهمال والتهميش من جهة وأيضاً بالتكفير والاضطهاد بسبب معتقداتهم الدينية من جهة ثانية.

ولكن هناك أيضاً ما يؤخذ على الطائفة وباعتراف بعض المثقفين من ابنائها، بأنها بطبعتها متقوقة على نفسها وغير منفتحة على بقية مكونات المجتمع السوري لأسباب عقائدية.

وحيث يذكر التاريخ أن بعض شرائح الطائفة تحالفت مع غزة سوريا من مغول وأوربيين، تبرر الطائفة ذلك بأنه كان ردًا على تكفيরها واضطهادها من قبل الأكثريّة السنّيّة، في حين ترد عليها الأكثريّة بأن السبب هو العكس.

من جهتي فلست هنا في هذا المقال بالذات في موقع تحديد من بدأ العداوة ضد الآخر ولماذا، بل أحاول البحث عن الرد الفرنسي على (وثيقة الأسد الجد وشركاه) المؤرخة عام 1936.

لابد أن يغفل في هذه الوثيقة أن الموقعين قد لعبوا على (الوتر اليهودي) وحاولوا استجرار العطف الفرنسي بنفس الطريقة التي استجررت الحركة الصهيونية فيها عطف بريطانيا وحصلت منها على (وعد بلفور).

فذكرها في (الفقرة الرابعة) منها أنهم متعاطفين مع (اليهود الطيبين) ويشاربوا بظروف معاداة العرب السنة لهم، وبالتالي يستحقون مثلهم إما حماية أجنبية أو دولة مستقلة.

وهنا نصل إلى زيادة المقال، إذ لا يبدو أن ما آلت إليه الأوضاع في سوريا بعد ذلك كانت محض صدفة، ولابد أن تكون لها علاقة مباشرة بتلك الوثيقة، ولهذا أعتقد بأن هناك (وعد بلفور فرنسي) منح للموقعين عليها يمكن تصوره كالتالي:

من ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية إلى السادة الهواش، جديد، جنيد، أسد، والأحمد الموقعين على الوثيقة المسجلة في الخارجية الفرنسية برقم 3547 وتاريخ 15/6/1936 والموجهة لدولتنا، نحيطكم علمًا بما يلي:

الفقرة الأولى: إن حكومة الجمهورية الفرنسية وحلفائها تنظر بعين العطف لأمانيكم.

الفقرة الثانية: إن حكومة الجمهورية الفرنسية وحلفائها ترى أنكم إذا (صبرتم) قليلاً، ستتمكنكم من حكم سوريا (بأكمالها) وليس (الساحل) فقط. وهذا سيمنحكم مساحة أكبر لدولتكم وأيضاً إمكانية أكبر لحماية حلفاكم (اليهود الطيبين) الذين سيعملون قيام دولتهم (إسرائيل) قريباً.

الفقرة الثالثة: إن حكومة الجمهورية الفرنسية ستبدأ بتنفيذ هذا الوعد بتطويق أبنائكم في الجيش بأعداد كبيرة وكذلك بالتأثير على قيادات الجيش السوري بعد الاستقلال لمتابعة هذه السياسة بحيث تصبحون أغلبية فيه وتسطيرون عليه وعلى كامل البلد بعد فترة وجيزة.

الفقرة الرابعة: سنؤمن الغطاء السياسي لهذه الخطة بإنشاء حزب (عربي) بشعارات قومية واشتراكية وعلمانية هنا في فرنسا على يد سوريين وتصديره إلى بلادكم على أنه حزب سوري.

وسيلعب هذا الحزب دور (حسان طروادة) الذي سيوصلكم إلى الحكم أولاً، ثم دور (الدكان السياسية) التي ستختبأ خلفها دولتكم في المستقبل لتتبع وتشتري على هواها.

الفقرة الخامسة: لا يجب أن تنسوا أن الغاية من هذا الوعد لكم بحكم سوريا هو أن تكونوا حلفاء دولة إسرائيل المستقبلية وأن تسهلو لها مهامها وتقوموا على حماية حدودها من الأخطار المترقبة بها. ونحن وحلفائنا سنؤمن لكم الدعاية السياسية اللازمة لظهور دولتكم بمظهر المدافع عن حقوق الأمة وحامى حمى الوطن. ولكن وفيما إذا حصل وجرت ثورة ضدكم من قبل الشعب، فمن غير المسموح لكم بالانسحاب قبل حرق البلد وإنقاء أهله. وتفضلاً بقبول فائق الاحترام

المخلص لقضيتكم رئيس حكومة الدولة الفرنسية

في الخاتمة أعود لأقول: أن (وعد بلفور الفرنسي) هذا الذي ذكرته إنما هو تصوري الشخصي لما كان رد الحكومة الفرنسية على الوثيقة إليها في حينه. وهو تصور وضعته بسبب إخفاء فرنسا للرد الرسمي حتى الآن، واستندت فيه إلى ماحدث على أرض الواقع فيما بعد ولم يحدث غيره. أما إذا كانت لدى أرشيف وزارة الحاجة الفرنسية وثيقة تحتوي على غير ذلك، فنحن بانتظارها.

المصادر: